المحاضرة العاشرة

أسباب نزول القرآن الكريم

تعتبر أسباب النزول من أهم مباحث علوم القرآن، وقد بدأ التصنيف فيه في القرن الثاني للهجرة، وممن ألّف فيه من المتقدمين: علي بن المديني، والإمام الواحدي، وجلال الدين السيوطي، وابن حجر العسقلاني، غيرهم.

أولا: تعريف أسباب النزول.

السبب في اللغة مفرد؛ وجمعه أسباب، وهو كل شيء يتوصل به إلى غيره، قال تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا﴾ الكهف: ٨٤، أي: أن الله تعالى آتاه من كل شيء معرفة وذريعة يتوصل بها، فأتبع واحدا من تلك الأسباب، ومنه قوله تعالى على لسان فرعون: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ﴾ غافر: ٣٦ – ٣٧، أي: لعلي أعرف الذرائع والأسباب الحادثة في السماء، فأتوصل بها إلى معرفة ما يدعيه موسى وقيل هو: الحبل الذي يصعد به النخل[1].

وأما اصطلاحا فهو: ما نزلت الآيات متحدثة عنه أيام وقوعه[2].

(1) المفردات للأصفهاني، ج: 01، ص: 291.

(2) علوم القرآن في الأحاديث النبوية، للدكتور عمر بن عبد العزيز ابن عبد المحسن الدُّهَيشي، ص: 215 منشورات كرسي القرآن الكريم وعلومه بجامعة الملك سعود المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، 1436هـ.

ثانيا: أقسام نزول القرآن الكريم باعتبار السبب.

إن مما تقرر في نزول القرآن الكريم؛ أنه نزل على سيدنا محمد ﷺ منجّما بحسب الوقائع والأحداث، وهو باعتبار السبب ينقسم إلى قسمين:

❖ **القسم الأول:** ما نزل ابتداء دون أي سبب يذكر؛ وفيه بيان لما ينبغي اتباعه أو تركه، كالحث على فعل الخير، والإصلاح بين الناس، وترك الربا والزنى، ونحو ذلك من الأوامر والنواهي، وهذا القسم هو الأكثر في القرآن الكريم.

❖ **القسم الثاني:** ما نزل مرتبطا بسبب ما، ونذكر من ذلك ما يلي:

– أن تحدث حادثة فينزل قرآن في شأنها، كحادثة الإفك، قال تعالى: ﴿**إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ...** ﴾ النور: **11–20**.

– أن يُسأل رسول الله ﷺ عن شيء، فينزل القرآن الكريم ببيانه، كما سُئل عليه الصلاة والسلام عن الروح؛ فأنزل الله تعالى: ﴿ **وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا** ﴾ الإسراء: ٨٥[3].

ثالثا: السبيل إلى معرفة سبب النزول.

إن السبيل إلى معرفة سبب النزول هو النقل الصحيح والرواية الموثوقة، لأن ذلك لا يدرك بالرأي والاجتهاد، قال الإمام الواحدي: "ولا يحل القول في أسباب نزول الكتاب إلا بالرواية والسماع ممن شاهدوا التنزيل، ووقفوا على

(3) مباحث في علوم القرآن للدكتور محمد دراجي، ص: 91.

الأسباب، وبحقوا عن علمها وجدّوا في الطِّلاب"[4]، وينتهي النقل الصحيح إلى ما يلي:

❖ **روايات الصحابة رضي الله عنهم**: وذلك إذا قال الصحابي: حدث كذا؛ فأنزل الله تعالى كذا، أو يقول: نزلت فيّ أو في فلان الآية كذا، أو يقول: شهدت كذا مع رسول الله ﷺ، أو سئل رسول الله ﷺ عن كذا؛ فأنزل الله تعالى كذا ويعتمد على مثل هذه الروايات في أسباب النزول، ويكون لها حكم المرفوع.

أما إذا قال الصحابي: معنى هذه الآية كذا، أو تفسيرها كذا، فإن مثل هذه العبارات لا يدل قطعا على سبب النزول.

❖ **أقوال التابعين رحمهم الله**: وذلك إذا صحّت الرواية إليه، وكان من أئمة التفسير الذين أخذوا عن الصحابة الكرام رضي الله عنهم، أو اعتضد بمرسل آخر، أو نحو ذلك، ومن هؤلاء الأئمة: مجاهد، وعكرمة، وسعيد بن جبير[5].

رابعا: فوائد معرفة أسباب النزول.

– الاستعانة به على فهم مراد الله عز وجل من الآية، لأن العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب، وذلك لما بينهما من ارتباط وثيق.

– بيان الحكمة من تشريع حكم من الأحكام، وإدراك مراعاة الشرع للمصالح العامة، وذلك مما يزيد النفوس طمأنينة والقلوب ثباتا.

– معرفة السبب تجعل التخصيص قاصرا على صورته، كأن يكون لفظ الآية عامّا، ويقوم سبب النزول على تخصيصه[6].

---

(4) أسباب نزول القرآن لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري، تحقيق: أحمد صقر، ص: 05، الطبعة الأولى، 1389هـ / 1969م.

(5) مباحث في علوم القرآن للدكتور محمد دراجي، ص: 97.

(6) مناهل العرفان للزرقاني، ج: 01، ص: 103-108.

خامسا: هل العبرة بعموم اللفظ أم بخصوص السبب؟

إن الراجح الذي سار عليه الصحابة رضي الله عنهم والعلماء المجتهدون؛ **أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب**، فالحكم الذي يؤخذ من اللفظ العام ينطبق على ما نزل من أجله، ويعمّ غيره من نظائره، ومثال ذلك ما رواه الإمام البخاري عن ابن عباس –رضي الله عنهما– أن هلال بن أمية –رضي الله عنه– قذف ارأته عند النبي ﷺ بشريك ابن سمحاء، فقال النبي ﷺ: البيّنة وإلا حدّ في ظهرك فقال: يا رسول الله، إذا رأى أحدنا على امرأته رجلا ينطلق يلتمس البيّنة؟ فجعل رسول الله ﷺ يقول: :البيّنة وإلا حدّ في ظهرك، فقال: والذي بعثك بالحق إني لصادق، ولينزلن الله ما يبرّئ ظهري من الحدّ، فنزل جبريل عليه السلام بقوله عزّ وجلّ: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ أَزۡوَٰجَهُمۡ وَلَمۡ يَكُن لَّهُمۡ شُهَدَآءُ إِلَّآ أَنفُسُهُمۡ فَشَهَٰدَةُ أَحَدِهِمۡ أَرۡبَعُ شَهَٰدَٰتِۭ بِٱللَّهِ ۙ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ٦ وَٱلۡخَٰمِسَةُ أَنَّ لَعۡنَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡهِ إِن كَانَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ٧ وَيَدۡرَؤُاْ عَنۡهَا ٱلۡعَذَابَ أَن تَشۡهَدَ أَرۡبَعَ شَهَٰدَٰتِۭ بِٱللَّهِ ۙ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ٨ وَٱلۡخَٰمِسَةَ أَنَّ غَضَبَ ٱللَّهِ عَلَيۡهَآ إِن كَانَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ٩ ﴾ النور: ٦–٩، فهذه الآية نزلت في هلال بن أميّة ولكنها تعم كل حالة مثل حالته دون الحاجة إلى دليل آخر[7].

(7) مباحث في علوم القرآن للدكتور محمد دراجي، ص: 104-107.